

# الفصل الثالث

## العراق

\* خارطة العراق

\* لمحة جغرافية

\* لمحة تاريخية

\* لماذا العراق؟

\* أثار العراق في مهب العدوان

obeikandi.com

# العراق

## ١ - لمحة جغرافية

يقع القطر العربي العراقي في أقصى الجزء الشمالي الشرقي من الوطن العربي الكبير، ويطل على ساحل الخليج العربي بطول /٩٠/ كم، ومتاخماً لإيران من الشرق، وتركيا من الشمال، فيما يندمج مع بلاد الشام من الغرب وشبه الجزيرة العربية من الجنوب وتبلغ مساحته /٤٣٨/ ألف كم<sup>٢</sup>، ويزيد سكانه على /٢٦/ مليون نسمة، وعدد أفراد الجيش /٧/ ملايين جندي.

العاصمة (بغداد) وتقع على نهر دجلة الذي يقسمها إلى (الكرخ) و(الرصافة)، وسميَّ العراق ببلاد الرافدين، أو بلاد ما بين النهرين نسبة إلى نهري دجلة بطول /١٧٢٥/ كم، والفرات بطول /٢٨٠٠/ كم، وعلى ضفافهما أشجار النخيل وشجيرات القطن، والحمضيات، وسنابل القمح الذهبية، ويضم سهل شنعار في قسمه الجنوبي وهو من أخصب بقاع العالم بفضل تربته اللحية ومياهه الوفيرة، مما ساعد على قيام حضارات عديدة قوامها الزراعة، ويتصل قسمه الشمالي بسهول الجزيرة في بلاد الشام.

## ٢ - لمحة تاريخية

يمكن تصنيف حقبات ما قبل التاريخ الأساسية في بلاد بابل جنوب بلاد الرافدين ونشوء الحضارة في الشرق القديم بثلاث مراحل:

- ١- مرحلة آريدو: ظهرت فيها صناعات الفخار على عجلة الخزاف البطينية، وكانت الأواني مزينة برسوم هندسية بألوان مائية.
- ٢- مرحلة العبيد: تتميز بألوان فخارية سوداء نتيجة ارتفاع درجة الحرارة.

٣- مرحلة الوركاء: تميزت بالأواني الفخارية الملونة، وزخارف كأسنان

المشط، وقد صنعت على عجلة الخزاف السريعة.

وفي فجر التاريخ في منطقة بابل تتبلور حضارة المدن السومرية، وتتلخص بقيام هندسة معمارية كبيرة، وإنتاج مدهش في صناعة النحت ونقش الحجر، وظهور أقدم نموذج معروف للكتابة التي نسميها "الكتابة المسمارية" ويعتبر الكاتب السومري الأول في كتاب القطيعة على الحجر نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة ومحاولة منه لتأكيد ذاته وتحقيق الأفضل لبقائها، وعثر على الآلهة المقدسة (إيانا) وهي آلهة الحب والحرب (فينوس)، كما عثر على أختام أسطوانية حجرية، ومعبد (الكالشتاين) بطول ٢٩ متراً وعرض ٧,٥ متراً مبني من الحجارة الكلسية، ووجد على رأس المعبد صورة لأختام أسطوانية تمثل الحاكم وهو مرتد القصير شبكي النسيج وهو السيد أو الراعي الصالح أو الرجل الكبير. وفي حضارة شمال بلاد الرافدين في منطقة الديالي: ظهرت الزوايا الحادة والمربعات والمستطيلات والنقش النافر (العابد) ومخططات المعابد أو "قدس الأقداس"، وتثبت الأواني الفخارية القرمزية التي عثر عليها أصالة واستقلال الشمال عن الجنوب السومري، وظهرت شرية "لبيت عشتار" وتضع العقوبة المالية شرطاً لإصلاح الضرر الناجم.

وبعد انتصار حمورابي بالتكتيك السياسي على التحالفات المعارضة مثل (عيلام وسبارتو، واشنونا، ومالاغيوم) أقام الدولة البابلية بعد ثلاثين عاماً من حكمه، وقد وطد وأسس سومر وأكاد، وقدم سجلاً بالمدن من الشمال إلى الجنوب وهي:

(أريدو، لاجاش، أور، جرسو، لارسا، أوراك، أدا، أيسين، نيبور، كيش، ديلبات، بروسيا، بابل، كوتا سيبلرو، مالغيوم، ماشا) وفي منطقة الديالي أقام حمورابي مدن (أشنونا على الفرات، ماري، وتوتول على نهر البليخ، أشور، ونيوى، على نهر دجلة). يُعد السومريون من أقدم الأمم التي سكنت بلاد الرافدين، فقد أقاموا في سهل شنعار عدداً من المدن مثل: (أور، لاكاش، نيبور)، واستخدموا الكتابة المسمارية، وتأثرت بهم القبائل العربية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية وأنشأت بعض المدن مثل: (أكاد، كيش، بابل)، وتتلخص حضارة السومريين بظهور أقدم نموذج

معروف للكتابة (المسمارية)، وقيام هندسة معمارية كبيرة، وإنتاج مدهش في صناعة النحت ونقش الأحجار توجت ببناء الزقرة إضافة إلى أختام أسطوانية حجرية منقوشة، وهناك منظر ومشاهد صراع الحيوانات المتوحشة والصيد، ثم ترد قطعان الماشية والأبقار التي تمثل الرزق الأول للإنسان، واستطاعوا أن يقيموا أول دولة عربية قديمة معروفة في التاريخ في بلاد الرافدين هي:

١- الدولة الأكادية: أسسها (صارغون الأول) - عاصمتها أكاد - وتوسع غرباً إلى سوريا وشرقاً إلى بلاد عيلام، واستمر حكمه نصف قرن بالترف والثراء فكانت حافزاً لأطماع الشعوب المستقلة فقامت دولة عربية جديدة .

#### ٢- الدولة البابلية الأولى: ١٨٣٠ - ١٥٣١ ق.م

مؤسسها أحد أمراء العموريين الذي استطاع أن ينفذ البلاد من أقوام همجية انحدرت من جبال زاغروس التي هاجمت الدولة الأكادية، ويؤسس دولة عاصمتها بابل، وبرز ملوكها المشرع الأعظم حمورابي، وبسبب ضعف الروح العسكرية والتنافس على الحكم قامت ثورات وحركات انفصالية، فهاجمها الحثيون والكاشيون حتى استخلصها الآشوريون وأسسوا دولتهم.

#### ٣- الدولة الآشورية: ١٣٠٠ - ٦١٢ ق.م

اتخذوا آشور عاصمتهم ثم نقلوها إلى نينوى، أشهر ملوكها (سميراميس) و(صارغون الثاني) الذي نفى اليهود إلى فلسطين، و(آشور بانيبال) الذي عُرف بشجاعته وحبه للعلم، وامتدت حدودها لتشمل مصر وبلاد الشام والأناضول، لكن قسوتهم وسوء معاملتهم خلقت ظروفاً مناسبة لقيام الثورات.

#### ٤- الدولة البابلية الثانية (الكلدانية) ٦١٢ - ٥٣٩ ق.م

الكلدانيون أقوام آرامية تمكنت من الوصول إلى سهل شنعار - عاصمتهم بابل - أشهر ملوكها (نبوخذ نصر) أو (بختنصر)، ومن أعماله الكبيرة قضاؤه على مملكة يهوذا، وسبي اليهود عندما هاجم أورسليم عام ٥٨٦/ ق.م، وكذلك ٥٨٦/ ق.م، لكن ضعف حلفائه زاد في أطماع الفرس بدولتهم.

## ❖ فترة النفوذ الأجنبي

استولى الفرس على بابل وسيطروا على بلاد الرافدين حتى مجيء الاسكندر المقدوني وقضائه على الإمبراطورية الفارسية عام /٣٣١/ ق.م، فقامت فيها مملكة الحضر، وإمارة الحيرة التي اجتمع فيها العرب على دحر الفرس في معركة ذي قار عام /٦١٠/ م.

## ❖ الميزات الحضارية

لقد أسهمت الأقوام العربية (أكادية وبابلية وآشورية) في بناء صرح الحضارة الإنسانية وتميزت:

- اهتمامها بالتشريع - تشريع حمورابي - الذي تألفت شريعته من /٢٨٢/ مادة عالجت مختلف الأمور الاجتماعية والاقتصادية وأنواع الجرائم والعقوبات، وكانت شريعة قاسية (العين بالعين والسن بالسن)، إضافة إلى التشريع الآشوري.

- تطوير وسائل الدفاع والحصار وأدوات القتال، حيث اهتم الأكاديون والبابليون بالجيش إلا أن الآشوريون فاقوا شعوب بلاد الرافدين بالحرب وقسوة الجيش وأطلقوا عليه اسم (المغاوير).

- التفوق في فن النحت والتصوير لأشكال الحيوانات، وقد كشفت الآثار في مدينة بابل بوابات ضخمة (بوابة عشتار)، والحدائق المعلقة، وبناء الزاقيات لمراقبة الفلك، وفي مقبرة ملكية قديمة - أور الملكية - وجدت أقدم قيثارة في العالم عام /٢٦٠٠/ ق.م مصنوعة من الخشب المطعم بالذهب.

- الاهتمام بالكتب والمكتبات، وقد كانت مكتبة نينوى في عهد (آشور بانيبال) الذي عرف بحبه للمعرفة والعلوم فقد حوت نحو /٣٠٠٠/ لوح فخاري حافل بسجل تاريخ بلاد الرافدين، وتطالعنا الألواح الآشورية في قصور نينوى وفي تل حلف وفي سامراء، وأهم ما فيها (ملحمة الخليقة) و(قصة الطوفان) و(ملحمة جلجامش)، وفرض مبدأ التوحيد الديني في عهد أخناتون فرى المعبد، والبرج، والزقرة التي تعتبر ذروة الهندسة المعمارية الدينية في بلاد الرافدين.

- وضع أساس علم الفلك والارتقاء به كونه وسيلة لمعرفة المستقبل إلى إعطائه صفة العلم، ووجدت أول خارطة بابلية في العالم (خارطة كاملة في التاريخ) تعود إلى عهد الإمبراطور نيوخذ نصر في القرن ٦/ق.م<sup>(٢٢)</sup>.

### ❖ أهم المدن

#### - البصرة

عام ١٦/ هجري، وبسبب موقعها التجاري على الخليج العربي ظهرت فيها ثقافات (هندية وفارسية وسريانية)، أشهر علمائها الصحابي أبو موسى الأشعري في مجال القضاء، وخلف الحسن البصري في علم المنطق والفلسفة، وازدهرت علوم البصرة، ووضع فيها أبو الأسود الدؤولي قواعد النحو، وبرز أيضاً سيبويه (عمرو بن عثمان) في النحو، والخليل بن أحمد الفراهيدي واضع أول معجم باللغة العربية، وعاش فيها الشاعران جرير والفرزدق.

#### - الكوفة

أسسها العرب قرب الحيرة في عام ١٧/ للهجرة، واتخذها على بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة له في عهد خلافته، وكان مسجدها المركز الأول لنهضتها الفكرية، ونشطت فيها حركة الأدب والنحو والشعر، ومن أبرز علمائها الكسائي والكندي.

#### - بغداد

بنيت في عهد أبي جعفر المنصور عام ١٤٥/ هجري لتكون عاصمة للدولة العباسية وأصبحت منارة للمعارف، درس فيها الشافعي وأحمد بن حنبل، وظهر فيها الكاتب ابن المقفع والجاحظ، ومن الشعراء أبو العتاهية وأبو تمام والبحتري، ومن أشهر كتاب التاريخ محمد بن جرير الطبري (تاريخ الأمم والملوك) وابن الأثير (الكامل في التاريخ)، وفي الجغرافيا ابن خرداذبة، والمقدسي، واشتهر فيها الخوارزمي، وثابت بن قره في الفلك والرياضيات، وأولاد موسى بن شاكر، والبيروني في العلوم.

## ❖ حقول النفط

- في الشمال: الموصل وكركوك.

- في الوسط: خانقين.

- في الجنوب: ميسان والبصرة.

ودلت الدراسات أن احتياطي نفط الخليج والعراق والسعودية وإيران يصل إلى ٦٨٣/ مليار برميل أي ٦٧٪ من الاحتياطي العالمي هذا غير نفط وغاز آسيا الوسطى وقزوين، واحتياطي تركمانتان يقدر بـ ٦/ مليارات برميل من الاحتياطي العالمي ويكفي حاجات أمريكا لثلاثين عاماً قادمة، والدول الغنية تستهلك ٧٠٪ من الطاقة العالمية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في عام ٢٠٠٢م بأن العراق يعتبر الاحتياطي الأول في العالم ويشمل ٩٠٪ من أرضه نفطاً ويقدر من ٢١٦-٢٣٦/ مليار برميل، بينما بالسعودية يقدر ١١٢/ مليار برميل.

## لماذا العراق؟

لقد رقصت أشباح بابل فوق الترانيم الكاظمية والأنغام البغدادية، فكانت حورية الشرق وجنة العرب في ليلة مشؤومة، وحامت ملوك المنايا فوق فرات الحضارة ودجلة المجد والتاريخ بوابلٍ من قذائف الطائرات الحديثة (موآب) والصواريخ الدامغة (توماهوك) الدامغة برأيهم لإرادة الشعب العربي الذي ولد على المعركة وشب على العراك مع الطبيعة وضد الاستعمار منذ الغزوات الصليبية وعهد هولاكو/١٢٥٠م وحتى الآن.

ويأتي العدوان الأنكلوأمريكي على العراق الشقيق تنفيذاً لأهداف عدة:

### ١- ظاهرية: تتمثل في

- نهب النفط العراقي.
- السيطرة على نفط الخليج العربي.
- تغيير في المناهج وسرقة الآثار.
- حماية مصالح إسرائيل بالمنطقة.

- تنفيذ المخطط الصهيوني (الشرق الأوسط الكبير).

## ٢- باطنية تظهر في :

- الحقد اليهودي منذ عهد نبوخذ نصر.

- القضاء على التيار الإسلامي الأصولي بالسعودية.

- تحقيق الحلم الإسرائيلي في السيطرة على المياه وشعار (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل).

- إقامة قواعد عسكرية أمريكية في العراق.

ونلاحظ السياسة الصهيونية الجديدة في كتاب شمعون بيرس (الشرق الأوسط الجديد) المتضمن في محتواه بناء إمبراطورية تلمودية كونية (مملكة إله إسرائيل) معتمداً على سياسة التهجير للفلسطينيين وحصرهم جنوب غرب العراق وجنوب غرب الأردن، وبناء (غيتو) يهودي صاف.

والعدوان الذي شَنَّ على العراق في ٢٠/٣/٢٠٠٣م عمل على تدمير المدن والمنشآت، والبنى التحتية ومراكز الثقافة والإعلام، وكانت حصيلة الموت آلاف المدنيين الأبرياء إضافة إلى قوافل المعوقين والجرحى، ناهيك عن نتائج القصف والتدمير من انتشار الأوبئة والأمراض، وسطوة غيلان الجوع والألم والفوضى والانفلات الأمني وما خلقته من شروخ وانكسار في النفوس ستبقى آثارها محفورة في القلوب على مدى أجيالٍ وأجيالٍ.

## \* آثار العراق في مهب العدوان

يُعد العراق مهد الحضارات الإنسانية، وفي بلاد ما بين النهرين تشكلت أولى مدن العالم، وتحققت منتجات فنية تُعبر عن تعلق الإنسان بالفهم والروح دون الجسد، وفي هذه البقعة من الأرض أدت الزراعة إلى وجود الكتابة.

فجاء الغزاة إلى العراق من أجل النفط والماء ومحاولة هدم الحضارة، وإن ما يكتنزه العراق من حضارات يثير هؤلاء الغزاة الذين يُشيدون أروع المتاحف، فهم بحاجة لتلك التحف العراقية والسورية والمصرية، فمثلاً:

وجد في متحف (الميتروبوليتان) في مدينة نيويورك عند افتتاحه عام ١٩٩٩م قاعة آشورية وفيها تمثال من البرونز (ملك متحف كركوك) الذي سُجل في قائمة المسروقات الأثرية العراقية إبان الحرب الخليجية، وتجهل العراق مصير /٤٠٠٠/ قطعة أثرية بعد حرب الخليج الأولى ١٩٩١م.

### ومن أهم المواقع الأثرية في العراق

١- شمالاً في الموصل: المنطقة الآشورية (نينوى، آشور، كلخو) وفيها قصور (صارغون الثاني) و(آشور بانيبال).

٢- جنوباً في الناصرية: الآثار السومرية (آور، لارسا، أوروك، لغش، تلو) وتعود للألف الثالث قبل الميلاد.

ولقد استهدفت هذه الحرب العدوانية على العراق إضافة إلى نفضته وخياراته حضارة عريقة وتاريخ موهل في القدم والأصالة، فكانت حرباً على الحضارة والتاريخ والأوابد والمعالم الأثرية والعلمية التي تجذرت بالأرض العربية وامتزجت بدم الإنسان العربي، وهي تعيد للأذهان ما فعله هولوكو ١٢٥٠م، فأصبغت مياه دجله بلون حبراً لكتب النفيسة القيّمة، وها هو تراب العراق يمتزج اليوم بدم الشهداء والأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء.

إن العدوان الأمريكي البريطاني على العراق الشقيق يعتبر عدواناً على الإنسانية فضلاً عما يشكله من خرقٍ فاضح لقواعد القانون الدولي، ويأتي في مقدمة مخطط أمريكي يهدف إلى السيطرة على المنطقة ومقدراتها لخدمة مصالحها الذاتية.

نتألم أولاً لقتل الشعب العراقي وثانياً لكنوز لا تعوض لتاريخ الإنسانية، سواء لحضارة الشرق القديم، ولأهم الآثار الإسلامية، وهذا بحد ذاته جريمة ضد التراث الثقافي والإنساني.